أحلام زرقاء في مرايا الذاكرة

نصوص في الحنين والمدن والأمهات

إعداد: هالة الزيني

تمهيد: في زمن تتسارع فيه الصور وتخفّ فيه الكلمات، تعود هذه الصفحة إلى الورق لتجمع نصوصًا كتبت على مهل، بين الذاكرة والحلم والمدينة. هنا نصوص لقارئات وكاتبات يرين في الكتابة طريقًا لحفظ ما يوشك أن يضيع.

رسائل لم تصل إلى أمي

بقلم: منيرة الحلواني

كنت أكتب لأمي رسائل كل ليلة بعد أن تنام، ثم أطويها وأضعها في صندوق خشبي تحت سريري. لم أكن أعرف أين ترسلها، ولا كم من الوقت يحتاج الحبر كي يصل. بعد رحيلها بسنة، فتحت الصندوق فوجدت ثلاثة وأربعين رسالة، كلها تبدأ بالسؤال نفسه: هل تأكلين جيدًا؟ هل تنامين؟ هل تذكرينني؟ لم أجد جوابًا واحدًا في الصندوق، لكن الرسائل نفسها صارت جوابًا على كل ما خشيت أن أقوله لها وأنا حية.

مقهى الأرصفة الذي يحفظ أسماءنا

بقلم: سليم الدباغ

في شارع الأرصفة القديم، بين محل للساعات ومكتبة مهجورة، يجلس مقهى صغير لا يتجاوز عدد طاولاته ثماني طاولات. النادل هناك يعرف زبائنه بأسمائهم وبأطلبتهم المعتادة قبل أن يسألهم. هذا ليس كرمًا فقط، بل ذاكرة كاملة تعمل بلا دفاتر وبلا حواسيب، وكل من جلس هناك يشعر أن اسمه محفوظ في مكان آمن.

ثلاثة أبواب في مدينة واحدة

بقلم: رنا الشريف

كان لجدتي ثلاثة أبواب في بيتها، وكنت أظن أن الأبواب وُجدت لتُغلق. لم أفهم معناها إلا حين كبرت وصرت أغلق بابًا خلفي كلما ضاقت بي الغرفة. الباب الأول يؤدي إلى المطبخ، والثاني إلى الحديقة، والثالث إلى الطريق. جدتي لم تقل شيئًا عن الحرية، لكنها علّمتني أن الباب ليس عدوًا، بل يد تمتد لتقول: خذ ما تحتاج وعد حين تريد.

ورشة الخرائط التي تعلّم الأطفال الضياع

بقلم: هالة النجار

في زاوية من مدرسة الياسمين الابتدائية في مدينة كفر الصفصاف، تجلس كل خميس مجموعة من الأطفال حول طاولة كبيرة وعليها خرائط ورقية لا تشبه خرائط الجغرافيا المعتادة. هذه ورشة اسمها «خرائط الضياع» أسستها المعلمة رنا الشريف قبل ثلاث سنوات، وفكرتها بسيطة في ظاهرها: يُعطى الطفل خريطة لمكان يعرفه جيدًا، ثم يُطلب منه أن يرسمها من جديد وهو يظن أنه ضائع فيها.

ذاكرة الأحياء التي تكتبها الجدات

بقلم: هالة النجار

في حي الزيتون القديم، حيث تتقاطع الأزقة الضيقة وتختلط روائح الخبز والبهارات، تجلس نساء كبيرات كل أسبوع حول طاولة واحدة لتكتبن ما رأين وسمعن طوال عقود. لا أحد يدفع لهن أجرًا، ولا أحد يطلب منهن شهادة. هذه ورشة اسمها «ذاكرة الحي» أسستها قبل أربع سنوات باحثة شابة اسمها رنا الشريف، وكانت تظن أنها جاءت لتسجيل التاريخ الرسمي للحي. فوجدت نفسها تسجل شيئًا آخر تمامًا: الطريقة التي يُحفظ بها الخوف والفرح والجيران في ذاكرة مدينة لا تُكتب في الكتب